تعال نتغدى معا

رن الهاتف في منزل كريم:

-هل أنت وأسماء في البيت؟

-أنا فقط مع وسيم .. أما أسماء فنزلت الى المشفى..

-هل تغذيتما؟

-ليس بعد..

-تعال لنتغذى معا.

-ليست عندي السيارة.. أخذتها أسماء..

-تلفن لأسماء أن نوافينا حين تنتهي من عملها، الثالثة موعد الغداء..أما أنت فخذ سيارة أجرة وتعال مبكرا، فلدي أنباء تهمك..دخلت غرفة الطعام لأساعد فريدة بإخلاء المائدة من الأكواب والصحون المتسخة الى المطبخ لغسلها، ولأعيد ترتيب البراد بينما ذهب عبد الرحمن الى ليرتاح في غرفته، شاهدت من النافذة سيارة تقف عند الباب وينزل منها كريم ووسيم فأسرعت الى الباب أفتحه..

-أهلا، أهلا بالحبايب! سأل وسيم:

-أين نورا وجهاد؟

-أظنهما يلعبان في غرفة نورا.. ولكن توقف لا تصدر جلبة، عبد الرحمن هنا..

-بالباهنا؟ أين هو لأراه؟..

انه في غرفته يرتاح، فانتظر حتى يستيقظ، واذهب بهدوء والعب مع نورا وجهاد..

دخلت وكريم الى مكتبي.

-متى جاء؟

وصلت طائرته في الصباح فتلفن الي، كانوا يحتجزون حقيبته ويريدون ضريبة دخول بالدولار وليس معه الأعملة فرنسية..

-لماذا كلّف نفسه بالمجيء؟ كنت سأتلفن له أنني سأرسل جهاد عنده وأستبقي وسيم عندي..

-انه يفكر بطريقة أخرى.. أن يتربى كلاهما معاعنده، لأن هذا أصلح لهما..لقد سجل جهاد في مدرسة وسيمقبل مجيئه ليصطحبهما..

-لماذ يحمل على عاتقه هذا العبء؟

-من أجل وسيم.. إنه لن يحتمل تغييرا جذريا في حياته، فله طبيعة وفية لماضيه.. ليس سهلا عليه أن يستبدل أمه ثريا بداليا ووالده عبد الرحمن بعمه كريم ورفاقه ومدرسته ومعلميه بجو غريب..

-قبل أن تتلفني لي ، كنت معه في الشرفة أسأله عن أحـوال عبـد الـرحمن فـي فرنسا.. انه يعيش في شظف من العيش، يطبخ ويغسل وينظف البيت ويجلي الـصحون ويوصل وسيم الى المدرسة، ويسهر طوال الليل وهو يدرس..وكنت أقول لوسيم بأن يبقى عندنا العام الدراسي المقبل كي نخفف عن والده بعض المـسؤولية، ويتفـرغ لدراسـته فيجيب:

-ولكنه أبي! وهو يتدبر أمره..

-صحيح هو يتدبر أمره..

-مهما يكن من أمر..ضيعت ابني طوال هذه الأعوام التي مضت، لأنني لـم أكـن أعلم بوجوده ، أما وقد وجدته وأحببته فلا يمكنني تجاهله.. يجب أن يعلـم أننـي أبـوه والمسؤول عنه..

-لا تتسرع يا كريم.. انني أعلم شعورك ، ولكنه سيسأل من هي أمه ان كنت أنـت أبوه، أتقول له بأنها ليديا التي تخلّت عنه وهو رضيع وتركته لامرأة أخرى تربيه؟

-سأصارحه بكل شيء فيعلم أن أمه هي الوحيدة المسؤولة عـن تقـصيري فـي حقه..أنا لا أحب الأسرار ولا أن يحمل مسؤوليتي سواي..

-وإن طالبت أمه باستردادة؟

-القانون لا يسمح لها.

-أعرف ذلك..

-القانون في الولايات المتحدة يفعل ذلك حتى لو كانت المرأة هي التي تخلت عـن زوجها..أنت لا تعلمين أنني أدفع نصف دخلي لزوجتي السابقة الأمريكية، وتحتل الفـيلاّ التي اشتريناها معا، ولكنني مطمئن أن ولدي هما بين يدي أم مثقفة ثرية، ولا تسعى أبدا لتخريب علاقتهما بي ، كل ما في الأمر أنني رجل جيد ولكن لم يحدث بيننا انسجام,, أما ليديا فكانت بالنسبة لي علاقة عابرة.. طيش شباب..

-ولكن لم تكن بالنسبة لها علاقة عابرة، لأنها أنجبت منك ولدا..على كل حال سيستيقظ عبد الرحمن ويخبرك عن الأسباب التي تجعل ليديا متمسكة بوسيم.. زارته في باريس وأهرقت الدموع الغزيرة من أجله فأقنعها عبد الرحمن أن تترك وسيم بسلام. وستخبرك أسماء ووالدها الذي يعرف هائلة ليديا وعائلة غانم منذ زمن بعيد عن البيئة العفنة والمخاطر التي يمكن لوسيم أن يتعرض لها لو بقي في لبنان..

-انني قادر على أن أحميه!

-ليس في لبنان الذي أصبحت فيه الفوضى فوق القانون.

كان عبد الرحمن قد استيقظ، وسمعت صيحة الفرح التي أصدرها وسيم عند رؤياه..

-اشتقت اليك يا ولدي.. أكمل لعبك مع نورا وجهاد ريثما أرى عمك كريم.. سفرنا في الغد الباكر فليس لدينا وقت.. جهاد رتّب أغراضه وعليك بعد الغداء أن تحضر أغراضك وترتبها في الحقيبة، لأننا سننطلق من هنا..

دخل عبدالرحمن الغرفة وتعانق الأخوان، وكات كريم يبدو بسمنته وصلعه كأنه أكبر من عبد الرحمن بعشر سنوات بالغم أن فارق السن بينهما لم يتجاوز السنتين..

خرجت لأعين فريدة بتحضير السلطة والمتبلات، وما لبثت أن وصلت أسماء فقامت بنقل الصحون وترتيب المائدة.. وحين دخلت لأدعو كريم وعبد الرحمن سمعت كريم يقول له:

-في هذه الحال علي أن أساهم بربع راتبي لوسيم.

-لا عليك!انني أتدبر أمري ولقد حصلت على منحة لدراسة القانون الدولي، وستتحسن ظروفي بعد أن أتخصص..

-هذا شرطي فإما أن تقبل به أو أستبقي وسيم عنديوأصارحه بكل شيء.. هتفت بعبد الرحمن:

-اقبل به يا عبد الرحمن! فذلك الوضع أنسب لمستقبل وسيم.. وللجيل الجديد من أبنائنا الذين يدرسون في الخارج..

* * *